بناء كرامة الأطفال في المؤسسات التربوية
(ما بين الضغوط المهنية للعاملين
والصحة النفسية للأطفال)

إعـــــداد

أ.د. محمد صالح الإمام

أستاذ علم النفس والتربية الخاصة- مستشار وزارة التربية والتعليم

لعلم النفس والتربية النفسية- رئيس الجمعية العربية لصعوبات التعلم

مستشار لجنة التعليم بالمجلس القومي لشئون الأشخاص ذوي الإعاقة

مجلة رعاية وتنمية الطفولة (دورية – علمية – متخصصه - محكمة)

يصدرها مركز رعاية وتنمية الطفولة – جامعة المنصورة

العدد الثانى عشر - ٢٠١٤م

بناء كرامة الأطفال في المؤسسات التربوية
(ما بين الضغوط المهنية للعاملين
والصحة النفسية للأطفال)

اعداد

أ.د. محمد صالح الإمام

أستاذ علم النفس والتربية الخاصة– مستشار وزارة التربية والتعليم
لعلم النفس والتربية النفسية– رئيس الجمعية العربية لصعوبات التعلم
مستشار لجنة التعليم بالمجلس القومي لشئون الأشخاص ذوي الإعاقة

تقديم

يعلم الجميع أن الأطفال هم أعظم ثروات الأمة في حاضرها ومستقبلها لأنهم يشكلون نبض الأمة إلا أن كثيراً منهم يعانون أنماطاً من العنف والقسوة التي تصل إلى حد الوحشية في التعامل معهم فيضطرب نبض الأمة مما يؤثر علي نمو الأنسانية ، و كل الأمم المتحضرة تمنع منعاً باتاً المساس بهذا الطفل الذي سيكون في يوم ما أمل الأمة ، ولهذا وجدت الأنظمة والمنظمات التي ترعى حقوق هؤلاء الأطفال ، ومن هذا المنطلق أسوق الى المسئولين عن الطفولة المصرية وإلى صناع القرار والى بناة الوطن ٠٠٠ الأسئلة العشرة التالية : هل فكرتم في العواقب النفسية لإهانة الأطفال بالألفاظ النابية ؟، هل فكرتم في العواقب النفسية لعدم الاهتمام بتلبية احتياجات الأطفال ؟، هل أدركتم ما هي العواقب الوخيمة والمدمرة للإهمال في الصغر ؟، هل كون الطفل خجولاً لا يقوى على الحديث أمام الغرباء أو حتى الأقرباء أمراً طبيعياً ؟ ، هل كون الطفل عدوانياً يضرب هذا ويعض ذاك وضعاً عادياً لا يدعو إلى القلق ؟ ، هل الإنخفاض في مستوى التحصيل اللغوي والفهم مع توافر جميع مقومات النجاح والتفوق أمر مرجعه إلى الفروق الفردية فقط..؟ ، إذا كان البعض لا يبالي بما قد ينتج من آثار لما سبق ذكره فهل سألتم أنفسكم ما مدى الأضرار التي قد تنتج عن سوء هذه

التربية على المجتمع ، إذا لم تأخذكم الشفقة على مجتمعكم ألا تحرجكم التصرفات السلبية وغير اللائقة التي يقترفها الأبناء سواء في الشارع أو المدرسة أو مع الجيران..؟ ، إذا كان لا يهمكم التحصين النفسي لأبنائكم ولا حماية مجتمعكم ألا تخافون على أنفسكم من العقوق بعد أن يبلغ بكم العمر عتيا..؟ ألا تخافون أن ينتقم منكم الأبناء الآن وليس بعد حين..؟ كل هذه الأسئلة وغيرها ينبغي أن تكون الشغل الشاغل لكل المؤسسات المتخصصة ، التي لم يبرز لها دور مجتمعي في نشر ثقافة التربية وتنظيم وتصنيع بيئة التربية الآمنة ، فهي مؤسسات جدرانية وليست خلافية – أي لم تحقق رسالة التعمير - والأمثلة علي غياب هذا الدور لا تعد ولا تحصي فمثلاً : طفلة أدخلت للمستشفى بعد أن قام والدها بتعذيبها بالعصا وقضيب حديدي ، طفلة نبروة والتي احرقها والدها - بالبطاقة والرقم القومي - من أجل مد يدها وتناولها أكل حاجة حلوة من وراءه أو شربت كون لبن كان نفسه هو فيه ، هذا الأب الرقمي لم يعي سلوك القطط ليتعلم كيف تكون التربية !!!هذا الأب الرقمي لم يمتع نفسه بمواهب ابنته اللغوية الرائعة وغير المألوفة في عمرها الزمني ، هذا الأب الرقمي لم ينظر لابنته بالإيجابيات ولكنه نظر اليها بالسلبيات وعشعشت في عقله الباطن أن البنت ذي تصرفات سيئة فكان العقاب ، والاستاذ مفيد فوزي الاعلامي المعروف اعترف علي الهواء مباشرة بالخطأ الكبير الذي ارتكبه في حق ابنته وضربها بالحزام ضرباً مبرحاً وهي صغيرة عندما عبثت في فيشة كهرباء اثناء لعبها في الشقة (وكان الأولي) به أن يعرف أنها قامت بسلوك علمي وهو حب الاكتشاف أو حب الاستطلاع لكن لأننا تربينا علي أنماط محددة فاننا لا نحيد عنها)، وهنا فهؤلاء مصدر لإصابة الأبناء باضطرابات سلوكية أو نفسية ؟ ومن السهولة على الأهل اكتشاف ذلك من خلال ملاحظة الطفل حين يلجأ إلى الألعاب الفردية غير الاجتماعية وعدم مشاركة الأسرة أفراحهم أو اجتماعاتهم، ويكون شارد الذهن ، وهذا يدلل على شعوره الداخلي بالمعاناة والاضطرابات العاطفية ، وتوابع هذا مفزعة للأهل والمحيطين بالطفل ، لقد أجرى الكاتب دراسة على مجموعة من الأطفال وكانت النتائج على النحو التالي: إهمال المشاعر ٢٣,٦٪ Neglect Emotional ويقصد به المشاجرة(بين الأبوين) أمام الطفل والسماح أو التشجيع على ارتكاب جنحة وكذلك السماح أو التشجيع على استخدام

الكحول والدخان ، وغير ذلك ، الإساءة للمشاعر ٢٣,٨٪ Abuse Emotional استخدام كلمات مهينة لمشاعر الطفل (مثل غبي ، حيوان، قليل الأدب، وسخ،حمار...الخ) ، وعدم الاعتراف بمشروعية الاحتياجات الأساسية والمشروعة للطفل وعزل الطفل عن العالم الخارجي، وجعل حياة الطفل مليئة بالرعب والخوف ، اللامبالاه في السلوك الجسدي ١٥,٦٪ Sexual Abuse ترك الطفل يشاهد أشياء جنسية والتحرش الجنسي وإجبار الطفل من قِبل من هو أكبر منه على النظر إلى الأعضاء الجنسية ....الخ ، الإهمال في تحقيق الأمن ١٩,٥٪ Neglect Physical الإخفاق في حماية الطفل من الأشياء الخطرة والإخفاق في توفير الأشياء الأساسية للطفل كالأكل والشرب والملابس والمسكن والتدفئة والنوم والراحة والهواء النقي وأيضاً ترك الطفل لوحده بدون إشراف ، قلة الوعي الصحي ١١,١٪Neglect Medical الإخفاق في عدم إيصال الطفل إلى الطبيب وقت الحاجة،عدم إعطاء الطفل التعليمات اللازمة أو عدم السماح للطفل بأخذ الأجراءات اللازمة التي ينصح بها الطبيب، القسوة ٦,٤٪ Abuse Physical ضرب الطفل ضرباً مبرحاً بحيث تلاحظ آثار الضرب من قِبل الآخرين كالدم المتجمع تحت العين وآثار السحب على الأرض وآثار الضرب بالعصا وتكسير العظام وحرق الأطراف بأعقاب السجائر وجروح حول الأنف أو الفم ، آثار الأصابع على الجسم وحروق الجسم وتجمع دماء تحت الجلد والحرق بالكهرباء والكسور بالجمجمة والغرق والتسمم...الخ ، ونداء لكل القائمين علي رعاية الطفولة : عش لحظة الايجابيات وتمسك بها وبخر سريعا هفوة السلبيات وتخلص منها تجد طريق السعادة والنجاح وأول خطوة في شعور الطفل بالشّرف والقيمة الشخصيّة يجعله يتأثّر ويتألّم إذا ما انتقص قدْره وهذا مفهوم الكرامة .

أتساءل : لماذا لا تهتم وزارة التربية والتعليم فى دوراتها التى تقيمها لكادر للعاملين عامة بالناحية النفسية وبناء الصلابة النفسية لديهم، فكل ما تهتم به الاختبارات فى هذا الكادر هو كم المعلومات المتراكمة لديهم، ويسألون: «اذكر وعرف ومتى ؟ ، لكن لا يوجد اهتمام بهم كأفراد لديهم ضغوط نفسية كبيرة ولا يعرفون كيف يتعاملون معها، ضغوط العاملين لا تتمثل فقط فى الرواتب المنخفضة ، فالناحية المادية تشكل أحد أوجه

الضغوط لكنها ليست الوحيدة ، لأن الكثير من هذه الضغوط يتعلق بالتفاعل مع التلاميذ داخل المدرسة ، حكت لى معلمة فى إحدى المدارس الابتدائية أن طفلاً فى مرحلة الحضانة سبها وأهانها أمام الفصل ولم تستطع معاقبته، لأن قوانين المدرسة تمنع العقاب وأنها شعرت بضغط فظيع وإهانة أمام الفصل كله ، فى الحقيقة لا توجد دراسة لما يحدث فى بيئة الفصل من تحديات بالنسبة للعاملين وللتلاميذ ، فما يحدث فى هذه البيئة يجعل من المدرسين ضحايا أو معتدين . يجب أن يتضمن تدريب العاملين شقين أساسيين : الأول تدريب على بناء صلابته النفسية من خلال تعلمه لمهارات التعامل مع الضغوط وإدارتها، والشق الثانى يتضمن كيف يتعامل مع الأطفال والمراهقين وكيف يحول بيئة الفصل لبيئة آمنة ، ولا أجد أهمية لكم المعلومات التى يضطر المعلم إلى حفظها ليقوم بتلقينها إلى الطلبة الذين يضطرون هم أيضا إلى حفظها ، لو تم التعامل مع هذين الشقين لن نسمع عن مدرس قام بإلقاء ماء مغلى على طفل ليعاقبه، ولن نسمع عن مراهق قام بضرب مدرس وتكسير سيارته ، فالضغوط تعد من أهم سمات العصر الراهن، الذي يشهد تطورات وتغيرات سريعة في جميع مجالات الحياة، وأصبحت الضغوط تشكل جزءا من حياة الإنسان نظرا لكثرة التحديات التي يواجهها في هذا العصر ولذلك، فهي تكاد تنتشر في مختلف البيئات والمجتمعات وخاصة في بيئة الأعمال التي تتطلب من القائمين عليها التفاعل المباشر مع الناس مثل المعلمين والمعلمات وعلى وجه الخصوص الذين يعملون في المرحلة الأساسية الأولي، وكثيرا من المعلمين يجدون أن مشاعرهم واتجاهاتهم نحو أنفسهم وتلاميذهم ونحو مهنتهم قد أصبحت أكثر سلبية مما كانت عليه. فقد يظهر لديهم انفعالات نفسية مختلفة مثل الغضب، القلق، قلة الحيلة، الانزعاج، أو تثبيط العزم، ومن ثم فقد يفقدون الدافعية نحو الإنجاز في عملهم، لقد بينت بعض الدراسات أن من بين كل أربعة مدرسين يوجد مدرس يدرك ضغوط مهنة التدريس في أعلى مستوياتها وأخطرها ، لا تكاد تخلو مدرسة مهما كانت، من مدرس واحد على الأقل يعاني ضغطا حادا، وأن بين كل خمسة مدرسين يوجد مدرس يعاني ضغطا حادا ، أن من نتائج ضغوط العمل خلق حالة من عدم التوازن بين الفرد وقدراته وحاجاته وتوقعاته من جهة، وبين ما يطلب منه القيام به من جهة أخرى .

أن علماء النفس قرروا أن الجهد العصبي الذي يصرفه المعلم في التدريس خلال ساعة زمنية واحدة يعادل الجهد الذي يقضيه أي موظف آخر ليشتغل بإحدى الوظائف الإدارية يومه كاملاً ، أن ضغوط مهنة التدريس التي يواجهها المعلم قد يترتب عليها انعكاسات خطيرة تؤثر علي النواحي النفسية والجسمية والاجتماعية للمعلم والتي قد تمنعه من القيام بواجباته المهنية على أكمل وجه ، وأن مهنة التدريس من أكثر المهن التي تسبب ضغطا نفسيا على المشتغلين بها ، وأن مستوى الصحة النفسية للمعلمين يتأثر بمستوى ضغوط مهنة التدريس التي يتعرضون لها ، أن لظاهرة الضغط جانبان، الجانب الأول إيجابي ولا يلحق ضررا بالفرد بل يعتبر مفيدا، حيث يكون عامل تحفيز للفرد لبذل الجهد نحو النمو والتقدم وحسن الأداء، أما الجانب الثاني سلبي، ويتمثل في الألم الذي يعاني منه الفرد. وعندما يذكر الضغط غالبا ما ينصرف معناه إلى هذا الجانب الذي يشير إلى الجانب السلبي ، وقد بينت مصادر ضغوط العمل كما يدركها المعلمون أنفسهم، وجود انفعالات سلبية مصاحبة لإحساس المعلمين بضغوط العمل مثل: الغضب، الاكتئاب، الانزعاج، لوم الذات، وأعراض عضوية ، أن الضغوط المهنية قد تمثل عاملا هاما يسهم في مختلف الاضطرابات النفسية والجسمية. فالعمل الذي يتصف بالأعباء الزائدة كما وكيفا، وبالتغير السريع، وبالمعايير غير الواقعية للأداء يكون مثقلا بالضغوط بالنسبة لمعظم الأشخاص. ومع ذلك فإن إدراك تلك الأعباء واستجابات العاملين قد تختلف من فرد لآخر ، إذا أردنا الأصلاح والبناء لجيل يبني الأمة علينا نشر ثقافة الوعي بحي على الفلاح، والبعد عن الطلاح والآتيان بعاملين قادرين علي تصميم وتقنيات وعوامل الأنشراح وتوفير بيئة الأمن التربوي حيث هو أساس الأمن في مجمله ، وبالتالي نحقق كرامة الأطفال وفيها عزة الأجيال .